حوليات آداب عين شمس المجلد 53 (عدد يناير - مارس 2025)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

غريب القرآن عند النحاة: أسبابه ومعاييره

د. ياسر محمد حسن البستنجي*

الجامعة: جامعة مؤتة، الأردن
Yasser_bu@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2025/02/12
تاريخ قبول البحث: 2025/03/16
تاريخ النشر: 2025/03/30

المستخلص:

يتناول هذا البحث الحديث عن مصطلح غريب القرآن من وجهة نظر النحويين، وبيان أهم أسبابه والمعايير التي حُكِم من خلالها على اللفظ الغريب بالغرابة، ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن المقصود بمصطلح "غريب القرآن"، وبيان أهم محدداته، والكشف عن أبرز الأسباب التي تجعل اللفظة من قبيل الغريب، وبيان معايير الغرابة عند النحويين.

ويسير هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي المعتمد أصالة على استقراء المادة النظرية من مظانها ومصنفاتها، ومن ثم تصنيفها وتبويبها للوصول إلى النتائج المرضية.

ولقد انقسم البحث إلى ثلاثة أجزاء تناول الأول الحديث عن مصطلح الغريب وغريب القرآن، في حين تناول الثاني أبرز الأسباب التي جعلت النحاة واللغويين يحكمون على لفظة ما بأنها من الغريب، وتناول الثالث الحديث عن معياري الغرابة عند النحاة، وهما المعيار البنيوي، والثاني المعيار الدلالي.

وقد توصل البحث لعدد من النتائج من أهمها أن الغريب في القرآن الكريم هو ما يحتاج قارؤه للعودة للمصادر كي يفهم المقصود منه، وأن أبرز أسباب الحكم بالغرابة على اللفظ هي اللهجة والتطور الدلالي والمجاز وغرابة الاشتقاق وغيرها، وقد مثّلت النماذج القرآنية المعتمدة على غرابة المعنى أكثر نماذج الغريب عند النحاة واللغويين.

الكلمات المفتاحية: الغريب/ غريب القرآن/ النحو.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2025.

المقدمة:

يعد القرآن الكريم دستور الأمة الإسلامية، وهو الكتاب الذي أُنزل بلسان عربي مبين ليتحدى العرب في فصاحتهم وبلاغتهم، فأعجزهم بلفظه ونظمه وتركيبه وتشريعاته وغير ذلك الكثير، ولا تتوقف مكانة القرآن الكريم عند مظاهر الإعجاز، بل هو كتاب تشريعي، وكتاب لغوي خدم العربية بأن حفظها من التغيير والتبديل والتحريف، وحماها من اللحن بكافة أشكاله، فلولا القرآن لضاعت اللغة.

ويعد حقل "غريب القرآن" من أبرز الحقول البحثية التي تناولها المفسرون والنحاة على حد سواء، إذ كثيراً ما وُضِعت المصنفات، وأُلّفت المؤلفات لبيان غريب القرآن، والحديث عن دلالة بعض ألفاظه المستعصية على فهم العوام والخواص، فكان هذا الحقل من أبرز حقول البحث القرآني، ولقد جاء هذا البحث ليتحدث عن هذه الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم من جهة الأسباب والمعايير التي اعتمدها النحاة واللغويون في ذلك.

وتبرز أهمية هذا البحث في أنه مرتبط بكتاب الله العزيز، حيث إنه خدمة لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما تبرز أهميته في أنه يكشف عن منهجية النحاة واللغويين في التعامل مع اللفظ الغريب في القرآن الكريم، ويبين الأسباب التي دفعتهم للحكم على لفظة ما بأنها من الغريب، والمعيار المعتمد في ذلك.

ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1 . ما المقصود بالغريب والغرابة؟

2 . ما المقصود بـــ "غريب القرآن"؟

3 . ما أبرز الأسباب التي يحكم من خلالها على اللفظ بأنه من الغريب؟

4 . كيف صنف النحاة ألفاظ غريب القرآن؟

5 . ما المعايير التي اعتمدوها في ذلك؟

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن المقصود بمصطلح "غريب القرآن"، وبيان أهم محدداته، والكشف عن أبرز الأسباب التي تجعل اللفظة من قبيل الغريب، وبيان معايير الغرابة عند النحويين.

ويسير هذا البحث وفقاً للمنهج الوصفي التحليلي المعتمد أصالة على استقراء المادة النظرية من مظانها ومصنفاتها، ومن ثم تصنيفها وتبويبها للوصول إلى النتائج المرضية.

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الدراسات السابقة التي أفاد منها الباحث في بحثه هذا، وهي كما يلي:

كتب تفسير غريب القرآن ومعانيه، مثل تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، وإعراب القرآن للنحاس، ومعترك الأقران للسيوطي، وغيرها، فهي المصنفات التي اتكأ عليها البحث في الوصول إلى مادته التطبيقية.

كما وُجِدت بعض الدراسات الحديثة التي تناولت غريب القرآن، وأفاد منها البحث ومن بينها:

دراسة محمد جرادات عام 2012م، بعنوان: غريب القرآن: تاريخاً وتصنيفاً ومعايير.

ودراسة حسن أحمد هود عام 2004م، بعنوان: الملامح الدلالية في كتب غريب القرآن.

ودراسة عبد الفتاح كيليطو عام 1978م، بعنوان: الأدب والغرابة.

فقد أفاد البحث من هذه الدراسات السابقة، غير أنه تميز عنها بحديثه عن الأسباب والمعايير وربطها بالجوانب اللغوية التركيبية منها والدلالية.

ولقد انقسم البحث إلى ثلاثة أجزاء تناول الأول الحديث عن مصطلح الغريب وغريب القرآن، في حين تناول الثاني أبرز الأسباب التي جعلت النحاة واللغويين يحكمون على لفظة ما بأنها من الغريب، وتناول الثالث الحديث عن معياري الغرابة عند النحاة، وهما المعيار البنيوي، والثاني المعيار الدلالي.

وقد توصل البحث لعدد من النتائج من أهمها أن الغريب في القرآن الكريم هو ما يحتاج قارؤه للعودة للمصادر كي يفهم المقصود منه، وأن أبرز أسباب الحكم بالغرابة على اللفظ هي اللهجة والتطور الدلالي والمجاز وغرابة الاشتقاق وغيرها، وقد مثّلت النماذج القرآنية المعتمدة على غرابة المعنى أكثر نماذج الغريب عند النحاة واللغويين.

أولاً: مصطلح الغريب وغريب القرآن:

حينما كانت هذه الدراسة تتناول الحديث عن مصطلح "غريب القرآن" كان لا بد من الإشارة لمصطلح "الغريب" نفسه، ومن ثم الربط بينه وبين المصطلح المركب "غريب القرآن".

يشير مصطلح الغريب في اللغة إلى البعيد عن وطنه، ويُجمَع على غرباء، وقالت العرب: قذفتْهُ نوى غَرْبة، أي بعيدة (الزمخشري، 1972).

ويقول ابن منظور متحدثاً عن معنى "الغريب": " والغُرباءُ: الأباعِدُ. أبو عَمْرٍو: رَجُلٌ غَريبٌ وغَرِبيٌّ وشَصِيبٌ وطارِيٌّ وإتاويٌّ، بمَعْنًى. والغَريبُ: الغامِضُ مِنَ الكَلام؛ وكلمة غريبةٌ، وَقَدْ غَرُبَتْ، وَهُوَ مِنْ ذلِكَ. وَفَرَسٌ غَرْبٌ: مُتَرامٍ بِنَفْسِهِ، مُتَتابعٌ فِي حُضْرِه، لَا يُنْزِعُ حَتَّى يَبْعَدَ بِفَارِسِهِ" (ابن منظور، 1414، 640/1).

كما جاء في استعمالهم: أصابه سهْمُ غَرْب، أي لا يُدرى راميه (الفيروزآبادي، 2005، 120/1)، واشتقوا من مادة (غرب) أفعالاً، قالوا : اغترب فلان إذا تزوج إلى غير أقاربه(الرازي، د.ت).

يظهر من خلال المعنى اللغوي لكلمة "غريب" أنها تشير إلى معنى البعد من جهة، والغموض في الكلام من جهة أخرى، وكأن الكلام الغامض قد ابتعد عن ذهن المتلقي كي يفهمه، من هنا سُمي غريباً، وهذا المعنى اللغوي الذي أشار إليه ابن منظور من قبل له ارتباط وثيق بالمعنى الاصطلاحي لكلمة "غريب".

أما معنى "اللفظ الغريب" في الاصطلاح فيشير إلى فكرتين اثنتين، الأولى: أن يكون اللفظ مستغلقاً وحشياً يحتاج الناظر فيه إلى البحث في المصادر اللغوية كي يتمكن من فهمه والوقوف على معناه، والثانية: أن تكون الكلمة لها وجه بعيد في الاستعمال يحتاج إلى توضيح (السيوطي، 1998، 148/1).

وقد اشتق لفظ الغريب من الغرابة، حيث يشير هذان المصطلحان إلى معنى متشابه، يقول الجرجاني (1983) مبيّناً معنى الغرابة: "الغرابة: كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال"(ص161).

كما يبين الكفوي (د.ت) أن الغرابة مرتبطة بالذهن، فإذا احتيج إلى البحث عن معنى الكلمة أو أصلها أو ما شاكل ذلك فهي من الغريب، يقول: "الغرابة: وَهِي كَون الْكَلِمَة لَا يعرف مَعْنَاهَا إِلَّا بعد الْبَحْث الْكثير عَلَيْهِ فِي كتب اللُّغَة، وَمن مُخَالفَة الْقيَاس ك (الأجلل) بفك الْإِدْغَام، وَلم يرتض بَعضهم زِيَادَة أَن لَا تكون الْكَلِمَة مستكرهة فِي السّمع نَحْو (الجرشى) أي النَّفس" (ص 226).

ومن تعريفات الغريب كذلك ما جاء في قول الخطابي: "إنما الغريب من الكلام على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكره، والوجه الآخر: أن يُراد به كلام من بعُدت به الدَّار، ونأى به المحل من شواذ قبائل العرب، وعلى هذا جاء بعضهم وقال له قائل: أسائل عن حرف من الغريب فقال: هو كلام القول، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه"(الخطابي، 1982، 71/1).

ويحسن بنا أن نشير إلى أن عدداً من النقاد والأدباء قد استحسنوا الغرابة في الاستعمالات اللغوية المختلفة، باعتبار أنها تمنح الكلام رونقاً خاصاً، "فالغرابة هي التي تضمن للشعر والكلام الفني رونقه الخاص، هذا الرونق الذي يرفعه ويسمو

به عن الكلام المبتذل السوقي، فما يفاجئ الناس، ويدفع المتلقي إلى الدهشة يبقى ذو جمال خاص في نفس المتلقي، وتتوق إليه الأذواق، فمن هنا كانت الغرابة ذات أهمية كبيرة في الخطاب" (كيليطو، 1982، ص 58).

ومن الجدير بالذكر هنا أن أول من ألف في غريب القرآن هو ابن عباس –رضي الله عنه– وذلك في الرد على نافع بن الأزرق، ومن بعده واصل بن عطاء باعتباره رأس المعتزلة، ثم ظهرت الحاجة إلى مصنفات غريب القرآن كي تبيّن للناس معاني الألفاظ القرآنية التي تستغلق عليهم، وتوضح لهم المقصود بها، فظهرت مصنفات غريب القرآن، سواء أكانت بهذا العنوان أم بعنوان آخر (هود، 2004).

أما مصطلح "غريب القرآن" فكما هو ظاهر لنا يتكون من كلمتين مرتبطتين بعلاقة الإضافة بينهما، ف"غريب" مضاف، و"القرآن" مضاف إليه، وهما كالشيء الواحد كما عُهد عن النحاة، بمعنى أن المقصود بمصطلح "غريب القرآن" تلك الألفاظ الغريبة في معناها أو تركيبها أو دلالتها أو مكوناتها البنيوية وهي واردة في القرآن الكريم.

من هنا يتناول هذا البحث الحديث عن الشروط والمعايير التي وضعها النحاة خصوصاً والعلماء عموماً في حديثهم عن الغريب في القرآن الكريم، إذ لم يكن مصطلح الغريب في القرآن الكريم مجرد مصطلح عابر لا يسير وفقاً لضوابط وشروط، إنما هو مصطلح له محدداته عند النحاة، ومعاييره الخاصة في اختيار الألفاظ الدالة على الغرابة.

ثانياً: أسباب وجود الغريب في القرآن الكريم:

هناك عدد من الأسباب التي أفضت إلى وجود الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، وإن أكثر تلك الأسباب يعود لمظاهر لغوية نحوية، وفيما يلي بيان أهم تلك الأسباب (جرادات، 2012، ص 59):

1 . أن تكون اللفظة من لهجة عربية بعيدة في الاستعمال، قليلة الحضور في اللسان العربي، فحينما يسمعها السامع للمرة الأولى ينتابه شيء من الاستغراب وعدم الفهم حتى يقع على طبيعتها الاستعمالية التي عُهدت في تلك اللهجة.

2 . أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له أصلا، وهو ما يعرف بالمجاز، فاللفظة تتغرب كثيرا إذا ما جاوزنا بها الحقيقة، نحو قوله تعالى: "حتى تضع الحرب أوزارها" (محمد:4) فالأوزار في اللغة، هي الآثام ثم أختلف في المراد، فقيل: حتى يسلم الجميع، وقيل حتى يقتل الكفرة ويغلبوا، وقيل حتى ينزل عيسى عليه السلام (السيوطي، د.ت، 27/2).

3 . التطور الدلالي للفظ، وانتقاله من عموم إلى خصوص، أو العكس، كأن يكتسب معنى دينيا أو اجتماعيا أو ثقافيا، كالصلاة التي تعني الدعاء. ثم أصبحت ذات دلالة شرعية، حيث أطلقت على العبادة المعروفة مع بقاء دلالتها الأصلية، ومثلها الزكاة والصيام والحج.

ومما كان خاصاً وأصبح عاما لفظ البأس والورد، فالأول يعني أصلا الحرب ثم كثر استخدامه، فأطلق على كل شدة، والورد كذلك، أصلا إتيان الماء، ثم صار يطلق على عموم الإتيان (وافي، 1957، 293/2).

ومما جاء عاما ودلالته خاصة قوله تعالى: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم" (آل عمران:173) وقوله تعالى: "أم تحسدون الناس"(النساء:54)، حيث قال القرطبي: الناس في قوله تعالى: "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم" (آل عمران:173)، يعني نعيم بن مسعود، وأما الناس في قوله تعالى: " أم يحسدون الناس" (النساء :54) يعني محمدا عليه الصلاة والسلام، وقيل غير ذلك (القرطبي، 1952، 279/4).

4 . المشترك اللفظي، ويُقصد به أن تأتي الكلمة بلفظ واحد، ولكن بمعانٍ متعددة، وهو سبب لوجود الغريب في القرآن الكريم، ومن النماذج عليه ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "أريد أن تبوء بإثمي وإثمك"(المائدة:29) أي القتل، وما أضمره القاتل من حسد وعدوان لأخيه، في حين يتصرف ظاهر الإثم إلى الزنا في قوله تعالى: "وذروا ظهر الإثم وباطنه" (الأنعام:120) وأما باطنه فيعني المخالّطة (ابن قتيبة، 1978، ص 142).

5 . سبب نزول الآية الكريمة التي تشتمل على الكلمة الغريبة، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "إن يدعون من دونه إلا إناثا" (النساء:117) إذا قصد بها اللات والعزى ومناة (ابن قتيبة، 1978، ص 135)، فلولا معرفة سبب نزول الآية الكريمة، والمقصود منها، لما تمكّن القارئ من فهم معنى كلمة "إناث".

6 . التركيب، ويقصد به ما يطرأ على الآية الكريمة من تحول في بنيتها التركيبية من حذف وتقديم وتأخير وغير ذلك من حالات التركيب المختلفة، وسنورد في الجزء الآتي من البحث عدداً من النماذج التي تتوافق مع هذا السبب.

7 . عدم معرفة الأصل الاشتقاقي الذي أُخِذت منه الكلمة، فإن ذلك يدفع القارئ إلى الإحساس بشيء من الغرابة في هذا اللفظ، ومن الأمثلة على ذلك لفظ الملائكة، قيل إنها مشتقة من الألوك أي الرسالة ، فهي مألكة ومألكة ومنه ألكني بمعنى أرسلني، أو كن رسولي، وواحد الملائكة ملك بدون همزة لكثرة الاستعمال، لكنها في الجمع مؤخرة (ابن قتيبة، 1978، ص 23).

هذه أهم الأسباب التي أفضت إلى وجود الغريب في القرآن الكريم، وذلك تبعاً لوجود واحد منها أو أكثر، الأمر الذي جعل النحاة يتخذون معيارين أساسيين للحكم على اللفظ بأنه غريب في نص القرآن الكريم، وهو ما سنتناول الحديث عنه في الجزء الآتي.

ثالثاً: معيارا الحكم على اللفظ بالغرابة في القرآن الكريم:

هناك معياران اثنان يمكن إرجاع كافة نماذج غريب القرآن إليهما للحكم على اللفظ بأنه غريب، وهما (جرادات، 2012، ص58):

1 . المعيار البِنيوي: ويُقصد به ما يشتمل عليه اللفظ من ملامح الغرابة سواء في جانبه الصوتي (اللفظي)، أم في جانبه التركيبي المرتبط بالنحو، أم في جانبه الصرفي، فأي مظهر من هذه المظاهر يعد من قبيل الغرابة.

2 . المعيار الدلالي: ويُقصد به غرابة دلالة اللفظة ومعناها، ويدخل في هذا الجانب كل الألفاظ الغريبة في معانيها وأصلها اللغوي إنْ كانت من العربية أم من غير العربية، واشتقاقها المتناسب مع الدلالة أم لا، وهكذا.

وفيما يلي عرض لعدد من النماذج التي اشتمل عليها هذان القسمان.

1 . المعيار البِنيوي:

تتحصل الغرابة من خلال علاقة الألفاظ ببعضها، سواء بالتقديم أو التأخير، أو الحذف، أو المظاهر الصوتية المتنوعة والمختلفة، وبالتالي فإن علاقة المفردات ببعضها هو ما يفضي إلى الحكم عليها بالغرابة، فـ"الإغرابات الواقعة بكثرة التركيب هي تغييرات بحسب القول لا بحسب اللفظة المفردة" (ابن سينا، 1982، ص 232).

وقد أكد ابن رشد هذه الفكرة التي ترتبط بالسياقات التركيبية التي يمكن من خلالها الحكم على الاستعمال اللغوي بأنه من قبيل الغريب، وهو بذلك يتابع ابن سينا، يقول: "والإغرابات التي تنجح في هذه الصناعة من قبل التركيب الغير معتاد

في الأقاويل هي أيضا تغييرات يريدُ: بحسب التركيب لا بحسب الألفاظ المفردة، وذلك فيما أحسب، مثل التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والإغرابات الغريبة " (ابن رشد، 1992، ص 301).

وهناك نماذج قرآنية كثيرة تدخل في هذا المعيار، خصوصاً أنه يرتبط بالناحية الشكلية التركيبية للكلام، ومن هنا فهو أكثر أنواع الغريب حضوراً في مصنفات العلماء.

ومن الطبيعي جداً أن نشير إلى بعض مظاهر التقديم والتأخير في بنية الكلام، وبعض مظاهر الحذف باعتبارهما عنصرين أساسيين في بناء التركيب اللغوي، ومن الأمثلة على ذلك من غريب القرآن ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى" (طه:129) أي لولا أن الله جعل الجزاء يوم القيامة، وسبقت بذلك كلمته لكان العذاب ملازما لا يفارق، وفي الآية تقديم وتأخير، والمراد لولا كلمة سبقت وأجل مسمى لكان العذاب لزاما إي آخذا" (ابن قتيبة، 1978، ص 283).

فقد منح التقديم والتأخير والحذف في هذه الآية شيئاً من الغرابة، حيث إن المتلقي في بادئ الأمر لا يفهم المقصود منها، ولا المغزى من تركيبها، ولكن حينما يطلع على عنصري التقديم والتأخير والحذف في الآية الكريمة يفهم ما جاءت لأجله، وينجلي الغموض عن هذا التركيب برمته.

ومن النماذج كذلك على التقديم والتأخير في القرآن الكريم، مما يدخل في دائرة الغريب التركيبي ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "خلق الإنسن من عجل" (الأنبياء:37) والمقصود: خلقت العجلة في الإنسان وكذلك قوله تعالى: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا" (الكهف:1) والمقصود: أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا، ومنه قوله تعالى: "فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا" (المزمل:17) أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم (السيوطي، د.ت، 37/2).

فقد أخذ التقديم والتأخير في تركيب الكلام مكانه ضمن النماذج السابقة، فقولنا: خُلِقت العجلة في الإنسان، كلام مفهوم يعهده المتلقي، ويصل إلى مغزاه، ولكن حينما طرأ التقديم والتأخير على التركيب صار غريباً في تلقيه الذهني، الأمر الذي يدفعه لشيء من التأويل والبحث في أصل الكلام، وما قيل في هذا النموذج يُقال في الآيات التي مرّت من قبل.

ومن النماذج القرآنية التي نشأ فيها الغريب اعتماداً على الحذف ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة" (النساء:103)، فالاطمئنان يكون بعد مشقة وخوف، وبهذا التأويل يتم المعنى، وينصلح، والمقصود إذا اطمأننتم واسترحتم من السفر فأتموا الصلاة" (ابن قتيبة، 1978، ص 135).

لقد منح السياق الموقفي هذه الآية مزيداً من الدلالة، فالتركيب الإسنادي هاهنا غير معروف لدى المتلقي، إلا إذا اطلع على سياق الموقف، وبالتالي يتمكن من الفهم الدقيق لنص الآية الكريمة، ويعي العناصر التركيبية المحذوفة التي لها أثرها في بناء الدلالة والمعنى.

ومن التقديم والتأخير ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "كما أخرجك ربك من بيتك بالحق" (الأنفال:15)، حيث عُدّت هذه الآية من مشكل الآيات، قال الأخفش: هذه الكاف يجوز أن تكون على قوله: أولئك هم المؤمنون حقا... كما أخرجك ربك من بيتك بالحق" (الأخفش، 1981، 318/2).

وقال الكسائي: "مجادلتهم الآن له كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، واختار النحاس في هذه الآية أحسن الأقوال، وهو أن ما وعد الله به المؤمنين في الآيات السابقة حق، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الواجب له، فأنجز وعدك، وأظفرك بعدوك فأوفى لك، لأنه عز وجل قال : "وإذ يعدكم الله أحدى الطائفتين أنها لكم"(النحاس، 1977، 665/1).

وبناء على ما سبق يظهر أن هذا المعيار من معياري الحكم على الغريب في القرآن الكريم قائم على أساس العناصر التركيبية، وهو بالدرجة الأولى يعتمد على التقديم والتأخير من جهة، والحذف من جهة ثانية، وما يؤيد الدلالة المقصودة، والفهم العميق للتركيب إنما هو سياق الموقف في بعض الأحيان والتأويل في أحيان أخرى، إذ يمنح هذان المظهران العبارة التركيبية فهماً في ذهن المتلقي، فيتمكن عبرهما من الوصول إلى إجلاء الغموض عن اللفظ الغريب، واستيضاح مقصوده ضمن الآية القرآنية الكريمة.

2 . المعيار الدلالي:

وعلى الرغم من حضور المعيار الدلالي في الحكم على اللفظ بأنه غريب، إلا أن هذا المعيار أقل حضوراً في الأحكام على الألفاظ من المعيار السابق، نظراً لكون الدلالة معهودة في ذهن المتلقي.

ويرتبط الحكم بالغريب على دلالة الكلمة في كثير من الأحيان على السياق الاجتماعي أو اللهجي الذي تشيع فيه، ففي حين تكون مقبولة في لهجة ما، نجدها مبتذلة في لهجة أخرى، يقول ابن رشد في هذا المعنى: "والمستولية هي الألفاظ التي هي خاصة بأهل لسان ما ومشهورة عندهم مبتذلة دالة على المعاني التي وضعت لها أول الأمر من غير توسط. أما الغريبة فهي "الألفاظ التي هي غير مبتذلة عند جمهورهم، وغير مستعملة عندهم، بل إنما يستعملها الخواص منهم " (ابن رشد، 1992، ص 257).

وقد يكون الغريب من جهة الدلالة والمعنى مرتبطاً بعنصر بلاغي كالتشبيه ونحوه من مكونات البلاغة المختلفة، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني لهذه الفكرة، حيث يقول: "هذا فن آخر من القول يجمع التشبيه والتمثيل جميعاً "؛ اعلم أن معرفة الشيء من طريق الجملة، غيرُ معرفته من طريق التفصيل، فنحن وإن كنّا لا يُشكل علينا الفَرْقُ بين التشبيه الغريب وغير الغريب إذا سمعنا بهما، فإنّ لوضع القوانين وبيانِ التَّقسيم في كل شيء، وتهيئةِ العبارة في الفروق، فائدةً لا يُنكرها المميز، ولا يخفَى أن ذلك أتَمُّ للغرض وأشفى للنفس، والمعنى الجامع في سبب الغرابة أن يكون الشَّبَهُ المقصودُ من الشيء مما لا يتسرّع إليه الخاطر، ولا يقع في الوهم عند بديهة النظر إلى نظيره الذي يُشبَّه به، بل بعد تثبُّتٍ وتذكر وفَلْيٍ للنفس عن الصور التي تعرفها، وتحريكٍ للوهم في استعراض ذلك واستحضار ما غاب منه، بيان ذلك أنك كما تَرى الشمس ويجري في خاطرك استدارتُها ونورُها، تقع في قلبك المرآة المجلّوة، ويتراءَى لك الشَّبه منها فيها، وكذلك إذا نظرتَ إلى الوشي منشوراً وتطلّبتَ لحسنه ونَقْشه واختلاف الأصباغ فيه شبهاً، حَضَرَك ذكرُ الرَّوض ممطوراً مُفْترّاً عن أزهاره، متبسّماً عن أنواره"(الجرجاني، د.ت، ص 157).

وثمة مجموعة من النماذج التي نشأت بسببها الغرابة في اللفظ تبعاً لدلالة هذا اللفظ ومعناه، وليس الأمر مقتصراً على الجانب البنيوي فحسب، وفيما يلي عرض لأهم هذه المواضع.

إن من بين أهم مظاهر الغرابة الخاضعة لهذا المعيار ما يرتبط بغموض المعنى، وإبهامه، خصوصاً إذا لم يُعرَف المقصود بالشخصية التي نزلت فيه الآية الكريمة، ومن ذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "ومن يهاجر في سبيل الله

يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما" (النساء:100)، روي عن عكرمة أنه قال: أقمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته، وأسمه ضمرة بن العيص، حيث كان مستضعفا ومريضا، فلما نزلت آية الهجرة خرج من مكة، فمات في التنعيم (الزركشي، 1972، 159/1).

يبين النموذج السابق ما كان من غموض الدلالة العامة للآية الكريمة، تبعاً لعدم معرفة المتلقي بالشخص المعني بهذه الآية، وإن الاطلاع على سبب نزولها، أو على من نزلت من شأنه أن يُجلي هذا الغموض والغرابة، فيتمكن من فهم المقصود منها، واستيعاب دلالتها.

كما تظهر الغرابة من جهة الدلالة إذا ارتبطت بجوانب البديع والجمال الفني الأنيق الذي يربط المعاني ببعضها، ومن النماذج على ذلك ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين" (هود:44)، فكانت قمة في إبداعها وقال ابن أبي الإصبع المصري: ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كتلك الآية في كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة (المصري، 1957، ص 340).

كشف النموذج السابق عن بعض ملامح الدلالة والمعنى التي ترتبط بسياق الآية الكريمة، انطلاقاً مما اشتملت عليه من عناصر دلالية بديعية كان لها أكبر الأثر في تحديد معنى العبارة، والوصول إلى دلالتها المخصوصة، وبالتالي جلاء المعنى ووضوحه بالنسبة للمتلقي الذي يسمع هذه الآية الكريمة.

ويدخل التأويل في بعض الألفاظ الموسومة بالغرابة في القرآن الكريم، ومن الأمثلة عليها ما جاء في تأويل دلالة كلمة "المحروم" في قوله سبحانه وتعالى: "وفي أموالهم حق للسائل والمحروم" (الذاريات:19) قيل: هو المحارَف أو الذي لا سهم له في الغنائم، وقال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم، وأكثر الصحابة على المعنى الأول (ابن قتيبة، 1978، ص 421).

لقد اجتهد العلماء في تأويل المقصود بـــ "المحروم" في الآية الكريمة، ولم تكن تلك التأويلات التي ذكروها لتخرج عن طبيعة سياق الآية العام، أو لتبتعد عن دلالتها العامة، بل كانت متناسبة مع السياق، ومتطابقة مع المعنى، الأمر الذي ترتب عليه حضور هذه التأويلات المرتبطة بالكلمة، واعتمادها عليها في بيان الدلالات والمعاني المختلفة.

ومن النماذج التي اعتمدت أيضاً على التأويل في بيان دلالة اللفظ ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "وكان أمره فرطا" (الكهف:28) أي سرفا وتضييعا، وقال أبو عبيدة: ندما، وتبعه ابن قتيبة وقال: أصله من العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح أي سبق ومنه فرس فرط أي متقدم للخيل (ابن قتيبة، 1978، ص 266).

فقد بدا التأويل حاضراً في هذا النموذج الذي يتوافق مع النموذج السابق في طبيعة الاعتماد على التأويل من أجل بيان الدلالة المناسبة، فكان التأويل هو الوسيلة الأوضح لذلك.

ومن أبرز المظاهر التي يتبدّى فيها الغريب ضمن آيات القرآن الكريم ما يرتبط بالمجاز، وقد عدّ الجرجاني هذا الوجه أعظم وجه في الغرابة ، ورأى أن الغريب في القرآن الكريم في معظمه من هذا القبيل، دون أن تكون اللفظة في ذاتها

غريبة، كقوله تعالى: "وأشربوا في قلوبهم العجل" (البقرة:93) وقوله تعالى أيضاً: "فأصدع بما تؤمر" (الحجر:94)، وقوله تعالى: "خلصوا نجيا" (يوسف:80)، في حين كان الغريب من حيث دلالته قليلا، كقوله : "عجل لنا قطنا" (ص:16)، وقوله تعالى: "ذات ألواح ودسر" (القمر:13)، وقوله تعالى: "قد جعل ربك تحتك سريا" (مريم:2)" (الجرجاني، 1978، ص 303).

لقد أشار النص السابق إلى حضور المجاز باعتباره عنصراً أساسياً في تشكيل المعنى وبناء الدلالة، حيث خرجت بعض الألفاظ عن دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية، مما جعلها مرتبطة بالمجاز ارتباطاً وثيقاً، وبالتالي فقد اعتنى النحاة بهذا العنصر في تفسير غريب الألفاظ من القرآن الكريم.

وبناء على ما تقدم يظهر أن الغريب من ألفاظ القرآن الكريم يرتبط في كثير من الأحيان بالجانب الدلالي الذي يمثل معنى الكلمة، حيث اعتمد النحاة واللغويون على أدوات محددة في الكشف عن دلالة الألفاظ الغريبة، ومنها التأويل، فتأويل العبارة له أثره في بيان معناها، والكشف عن دلالة ألفاظها، كما اعتمدوا على المجاز، الذي يبتعد باللفظة عن دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية من شأنها أن تعيق فهم المتلقي، مما يجعله يبحث في معناها ومغزاها ومقصودها ضمن السياقات المختلفة، وإن ما يدفع النحاة للنظر في غرابة اللفظة ما يتعلق بغموضها وإبهامها، فإذا كانت اللفظة غامضة مبهمة، كان النحاة واللغويون أكثر عناية في البحث عن دلالتها ومغزاها ضمن سياق الآية الكريمة.

النتائج:

وبعد هذا البحث والتمحيص في معايير الحكم بالغرابة على ألفاظ القرآن الكريم، والشروط التي وضعها النحاة واللغويون لذلك، لا بد من إيراد مجموعة من النتائج وهي كما يلي:

يتكون مصطلح "غريب القرآن" من كلمتين مرتبطتين بعلاقة الإضافة بينهما، ف"غريب" مضاف، و"القرآن" مضاف إليه، وهما كالشيء الواحد كما عُهد عن النحاة، بمعنى أن المقصود بمصطلح "غريب القرآن" تلك الألفاظ الغريبة في معناها أو تركيبها أو دلالتها أو مكوناتها البنيوية وهي واردة في القرآن الكريم.

هناك مجموعة من الأسباب دفعت النحاة للحكم على بعض الألفاظ القرآنية بالغرابة، ومنها: اللهجات، والمجاز، والمشترك اللفظي، وسبب النزول، وطبيعة التركيب الذي جاء في الآية الكريمة، والتطور الدلالي الذي خضعت له اللفظة.

إن معيار الغرابة البنيوية من معياري الحكم على الغريب في القرآن الكريم قائم على أساس العناصر التركيبية، وهو بالدرجة الأولى يعتمد على التقديم والتأخير من جهة، والحذف من جهة ثانية، وما يؤيد الدلالة المقصودة، والفهم العميق للتركيب إنما هو سياق الموقف في بعض الأحيان والتأويل في أحيان أخرى، إذ يمنح هذان المظهران العبارة التركيبية فهماً في ذهن المتلقي، فيتمكن عبرهما من الوصول إلى إجلاء الغموض عن اللفظ الغريب، واستيضاح مقصوده ضمن الآية القرآنية الكريمة.

يرتبط اللفظ الغريب في القرآن الكريم في كثير من الأحيان بالجانب الدلالي الذي يمثل معنى الكلمة، حيث اعتمد النحاة واللغويون على أدوات محددة في الكشف عن دلالة الألفاظ الغريبة، ومنها التأويل، فتأويل العبارة له أثره في بيان معناها، والكشف عن دلالة ألفاظها، كما اعتمدوا على المجاز، الذي يبتعد باللفظة عن دلالتها الحقيقية إلى دلالة مجازية من شأنها أن تعيق فهم المتلقي، مما يجعله يبحث في معناها ومغزاها ومقصودها ضمن السياقات المختلفة، وإن ما يدفع النحاة للنظر في غرابة اللفظة ما يتعلق بغموضها وإبهامها، فإذا كانت اللفظة غامضة مبهمة، كان النحاة واللغويون أكثر عناية في البحث عن دلالتها ومغزاها ضمن سياق الآية الكريمة.

التوصيات:

يوصي البحث بما يلي:

1 . كتابة ورقة بحثية تتحدث عن معايير الغرابة وأسبابها في ألفاظ الحديث الشريف.

2 . كتابة ورقة بحثية مستقلة تتناول مصطلح الغريب في التراث العربي.

3 . وضع دراسة جامعة لأساليب الغرابة في العربية.

Abstract

"strange" in the Holley Quran from the point of view of grammarians

By Yasser Bustanji

This research deals primarily the term "strange" in the Holley Quran from the point of view of grammarians. It states the most important reasons for the term and the criteria by which the "strange" pronunciation was judged as "strange". Accordingly، this research aims to reveal what is meant by the term "strange Quran"، show the most important determinants، reveal the most prominent reasons why a word is referred to as strange، and to indicate the criteria of strangeness of a term referred to "strange" by grammarians.

The research proceeds according to the descriptive-analytical approach based on extrapolating the theoretical material from its resources and classifications، and then classifying and categorizing it in order to reach satisfactory results.

The research was divided into three main parts، the first part dealt with talking about the term "strange" and strangeness in the Holly Quran، while the second dealt with the most prominent reasons why grammarians and linguists judge a word to be "strange"، and the third dealt with talking about the two criteria of strangeness in grammar، namely the structural criterion، and the semantic criterion .

The research has reached a number of conclusions. The most significant conclusions are: on the one hand، strangeness in the Holy Quran is what its readers need to refer to the resources in order to understand what is meant by it. On the other hand، that research found the most prominent reasons for judging strangeness on pronunciation which are dialect، semantic development، metaphor، strangeness of derivation and others .

Keywords: strange / "strange" and the Holy Quran / " strange" in grammar.

قائمة المصادر والمراجع

ابن رشد. تلخيص كتاب الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1992م.

ابن سينا. الخطابة في كتاب الشفاء، تحقيق: محمد سليم سالم، وإبراهيم مدكور، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، 1982م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري. تفسير غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1978م.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.

الأخفش، أبو الحسين. معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، ط2، الكويت: دار الصفاة، 1981م.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن. أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط1، القاهرة: مكتبة المدني، وجدة: دار المدني، ، د.ت.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر. 11– دلائل الإعجاز، تعليق : محمد رشيد رضا، ، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1978.

الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تحقيق مجموعة من المحققين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م.

جرادات، محمد علي. غريب القرآن: تاريخا وتصنيفا ومعايير ، ط1، إربد: دار عالم الكتب، 2012م.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد. غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد النبي، ط1، بيروت: دار الفكر، 1982م.

الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح ، تحقيق: محمود خاطر، ط1، القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.
الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين. البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، بيروت: دار المعرفة، 1972م.
الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو. أساس البلاغة، تحقيق: مركز تحقيق التراث، ط1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 1972م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين. معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي البجاوي، ط1، بيروت: دار الفكر العربي، د.ت.
الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر. القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2005م.
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، صححه: أحمد عبد العليم البردوني، ط1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1952م.
الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.
كيليطو، عبد الفتاح. الأدب والغرابة، دراسة بنيوية في الأدب العربي، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1982م.
المصري، ابن أبي الإصبع. بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، ط1، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1957م.
النحاس، أبو جعفر محمد بن أحمد. إعراب القرآن ،، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط1، بغداد: مطبعة العاني، 1977م.
هود، حسن أحمد. الملامح الدلالية في كتب غريب القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، إربد/ الأردن، 2004م.
وافي، علي عبد الواحد. علم اللغة، ط4، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 1957م.